وعلى طول الطريق من تفير الى نوفغورود كانت تتنافس وحشية القيصر ووحشية حرسه الخاص . فكل بلدة صغيرة اجتيحت بالسيف والنار ، والناس الذين قابلهم رجال القيصر في الحقول قتلوا على الفور لان « الحملة ينبغي أن تكون سرية » فلا ينبغي أن يذيع أمرها أحد .

وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني يناير ١٥٧٠ وصل القيصر والأوبريتشينا الى تخوم نوفغورود . والواقع انهم كانوا يشكلون جيشاً كبيراً . وبدم شيطاني بارد وضع إيڤان خططه لحرمان المدينة من سكانها. فاتخذت في بادىء الأمر احتياطات لكي لا يفر منها أحد وكان لا بد من أن تقام حولها اسيجة عالية . ثم اغلقت ابواب كل الكنائس بالمفاتيح لكي لا يقدم أحد على إيجاد ملجأ له في هياكلها . وكان على الرهبان أن يخلوا اديرتهم التي ختمت ابوابها لمنع الضحايا من الاختباء في زنزاناتها المظلمة او يفروا منها عن طريق السراديب . وأقفلت بيوت كل تجار المدينة الأغنياء وموسريها واجبر سكانها على أن يبقوا سجناء في داخلها . واوقف كل الموظفين والأفراد العاديون من رجال الدين . واسكتت كل اجراس الكنائس وغلف المدينة صمت مقلق قبل القيام بعملية التنفيذ .

وكانت خيمة القيصر منصوبة خارج أسيجة المدينة التي أمر القيصر بإقامتها . ومنذ تلك اللحظة تطلب إيڤان من رجاله المسلحين إطاعة عمياء وحصل على ما يشاء . ولم يقم فوراً بإسلام المدينة الى الموت وحتى إعطائه الإشارة بذلك لم تقم فيها أية عملية قتل . كان له مخططه ، إذ كان عليه أن يدفع رواتب جيشه الذي قاده الى هذا المكان . وكانت تكاليف الحملة باهظة . وبما أن الكنيسة في شخص مطرانها كان من المفترض أن تتحمل جريرة هذه الخيانة الرهيبة فقد كان عليها أن تتحمل النفقات التي سببها العقاب . وكانت المدينة تضم آلاف الكهنة والرهبان فأصدر إيڤان قراره بأن يدفع كل واحد منهم عشرين روبلاً ، فكيف يستطيع رهبان فقراء كانوا قد تخلوا عن الدنيا أن يجدوا مثل هذا المبلغ ليدفعوه لإيڤان ؟. ولكن إيڤان لم يكن يهمه شيء من ذلك !. فأولئك الذين لا يستطيعون الدفع كانت تنزع عنهم ثيابهم ويربطون الى أوتدة في